الصرصور

جلسَتْ في غرفتها بعد صلاة العِشاء، تمارس هوايتها المفضلة، وتقضي أمتع ساعاتها، تغيب عن الدنيا بما فيها، وهي تَسمَعه يترنّم بأعذب الألحان، إنه المغني المفضل لديها، تضع السماعات على أذنيها، وتنسى نداءات أم احدودب ظهرها من ثقل السنين.

- بنيتي، استعيذي بالله من الشيطان، واختمي يومك بركعتين لله بدل هذا الغثاء.

- (بضجر أجابت): حسنًا.. حسنًا.

اتجهت الأم إلى مصلاها، وبدأت مشوارها اليومي في قيام الليل.. نظرَتْ إلى أمها بغير اكتراث.

انتهت الأغنية، تململت في سريرها بضجر، جلست لتستعد للنوم، فآخر ما تحب أن تنام عليه صوته، حلّتْ رباط شعرها، وأبعدت السماعات عن أذنيها، والتفتت إلى النافذة، إنها مفتوحة، قبل أن تتحرك لإغلاقها رأت الصرصور يتجه نحوها: الصرصور المزعج، وبدِقَّة عجيبة اتجه نحو الهدف، وأصاب بدِقَّة طبلة الأذن، صرخت من هول الألم، وأخذت تدور كالمجنونة، والطنين في رأسها، والخشخشة في أذنها.

- جاءت الأم فزعة: ابنتي، ما بك؟!

وبسرعة البرق إلى الإسعاف، ففحص الطبيب الأذن، واستدعى الممرضات، وفي غمرة الألم الذي تشعر به استغرق الطبيب في الضحك، ثم الممرضات.

أخذت تلعن، وتسبّ، وتشتم: كيف تضحكون، وأنا أتألم، أخبرها الطبيب بأن صرصورًا طائرًا دخل في أذنها!

- لا تخافي، سيتمّ إخراجه بسهولة، لكن لا أستطيع إخراجه، لا بد من مراجعة الطبيب المختص، عودي الساعة السابعة صباحًا!

كيف تعود، والحشرة تخشخش في أذنها تحاول الخروج؟! والألم يزداد لحظة بعد أخرى.. أخبرها الطبيب بأنه سيساعدها بشيء واحد، وهو تخدير الحشرة إلى الصباح؛ حتى لا تتحرك.. حقن المادة المخدرة في أذنها، وانتهى دوره هنا.

عادت إلى البيت كالمجنونة، رأسها سينفجر من شدة الألم، ومرّ الليل كأنه قرن؛ لطوله، وما أن انتهت صلاة الفجر، حتى سارعت مع أمها إلى المستشفى.

فحصها الطبيب، لكن خاب ظن الطبيب المناوب، فلن يكون إخراج الحشرة سهلًا. وضع منديلًا أبيض، وأحضر

الملقاط، وأدخله في الأذن، ثم أخرج ذيل الحشرة فقط! عاود الكَرّة، فأخرج البطن، ثم الصدر، ثم الرأس، هل انتهى؟!

مازالت تشعر بألم! أعاد الطبيب الفحص، لقد أنشبت الحشرة نابيها في طبلة الأذن! يستحيل إخراجهما، إنهما متشبثان بشدة، فوضع الطبيب قطنة مغموسة بمادة معقمة، وأدخلها في الأذن، وطلب الحضور بعد خمسة أيام؛ فلعل النابين يتحللان بعد انقطاع الحياة عنهما.

في تلك الأيام الخمسة بدأت تضعف حاسة السمع تدريجيًّا، حتى أصبحت ترى الشفاه تتحرك، ولا تدري ماذا يُقال، ولا ماذا يدور، كادت تصاب بالجنون، عادت في الموعد المحدد، فحاول الطبيب، ولكن يا للأسف لم يستطع فعل شيء، أعاد الكَرّة: قطنة بمادة معقمة.

- عودي بعد خمسة أيام.

بكت، وشعرت بالندم والقهر، وهي ترى الجميع يتحدث، ويضحك، وهي لا تستطيع، حتى أن تسمع ما حولها أو تبادلهم الحديث، عادت بعد خمسة أيام إلى الطبيب.

- أيضًا لا فائدة، سنجري لك عملية جراحية؛ لإخراج النابين.

كادت تموت رعبًا وهمًّا، طلبت من الطبيب فرصة خمسة أيـام أخرى، أعـادوا الكَرّة، وبعد خمسة أيـام مَنّ الله عليها بالفـرج، واستطـاع الطبيـب أن يسحب النابـين دون تدخّل جراحي، وابتدأ السمع يعود إليها بالتدريج.

عندهـا فقـط، علمـت أن كل مـا أصابهـا كان بمنزلـة الصفعـة التي أيقظتها من الغفلة، وكانـت من العائدين إلى الله.

عبرة:

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظلمـةٍ

والنفسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ

فاستحي مِنْ نظرِ الإلهِ وقلْ لها:

إنّ الذي خلق الظلامَ يراني

obeikandl.com